النثر الاندلسي

(الخطابة)

تعد الخطابة من الفنون النثرية الشفاهية بوصفها حديثاً منطوقاً، وهي تحتاج الى خيال وبلاغة، لتكون شديدة الوقع في النفوس، عرفها العرب منذ الجاهلية، فقد اقتضت المفاخرة بينهم أن يلجأوا إليها في عرض قضاياهم في السلم والحرب وكسب التأييد، ومن هنا قيل إن الخطابة فن الاقناع والامتاع.

يقوم هذا الفن (الخطبة / الرسالة) على الاتصال بين الخطيب (المرِسل) وجمهور المستمعين (المرسَل اليه) مباشرة بواسطة اللغة المنتطوقة عبر حاسة السمع (الاذن) لاستقبال الكلام المنطوق، ثم حاسة البصر (العين) لرؤية الخطيب أداءً وهيئةً.

أنواع الخطابة

تنوعت الخطابة الاندلسية ، وأهمها : الخطابة السياسية، والدينية، والجهادية، والحفلية.

1. **الخطابة السياسية:**

نشطت الخطابة السياسية إلان العهود الاولى ، فقد اتخذها الساسة وسيلة في بيان سياسة الدولة، إذ تلقانا خطبة الامير عبد الرحمن الاوسط بعد وفاة والده ومبايعة الخاصة والعامة له، إذ يقول: "لبحمد لله الذي جعل الموت حتماً من قضائه، وعزما من أمره، وأجرى الامور على مشيئته، فاستأثر بالملكوت والبقاء، وأذلَّ خلقه فما لهم نجاة من الفناء تبارك اسمه، وتعالى جدّه، وصلى الله على محمد نبيه ورسوله وسلم تسليما".

فهذه خطبة قصيرة تقوم على الايجاز وتتسم بالسهولة والوضوح والبعد عن التكلف، وقد جاءت متنامية متصاعدة، فقد بدا الامير عبدالرحمن خطبته متحدثاً عن الموت بوصفه حتميا لا ينجو منه احد.

2. **الخطابة الدينية:**

ظلت الخطابة الدينية على نحو ما كانت عليه في العصور السابقة، ومنها خطبة القاضي عياض (544 هـ)، إذ يقول : "الحمد لله الذي افتتح بالحمد كلامه، وبين في سورة البقرة أحكامه، ومدَّ في آل عمران والنساء مائدة الأنعام ليتمَّ إنعامه. وجعل في الاعراف أنفال توبة يونس وألر كتاب أحكمت آياته بمجاورة يوسف الصديق في درا الكرامة، وسبح الرعد بحمده فلا كهف ولا ملجأ إلا إليه، ولا يظلمون قُلامة"

فهذه الخطبة متكلفة، تضمنت التورية بأسماء السور، والتزم الخطيب فيها السجع، ويبدو أن هذا الطراز من الخطب تفرَّد به الاندلسيون.

3. **خطب الجهاد:**

إزدهرت خطب الجهاد حين توزعت الاندلس بين ملوك الطوائف الذين أخذوا يتناحرون فيما بينهم، وشرع الخطباء يستنجدون ويحضون على الجهاد، وتلقانا خطبة الوزير لسان الدين بن الخطيب (776هـ) التي يحث فيها المسلمين على مساندة إخوانهم في الاندلس وقد دهمهم العدو، فقال: "أيها الناس رحمكم الله تعالى. إخوانكم المسلمين بالاندلس قد جهم العدو – قصمه الله تعالى – ساحتهم، ورام الكفر – خذله الله تعالى – استباحتهم، وزحفت أحزاب الطواغيت إليهم، ومدَّ الصليب ذراعيه عليهم، وأيديكم بعزة الله تعالى أقوى، وأنتم المؤمنون أهل البر والتقوى ... الجهادَ، وسبيل الرشد فقد تعيَّن، الجار الجار فقد قرّر الشرع حقه وبيّن. الله الله في الاسلام. الله الله في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، الله الله في المساجد المعمورة بذكر الله. الله الله في الجهاد في سبيل الله. قد استغاث بكم الدين فأغيثوه، قد تأكد عهد الله وحاشاكم أن تنكثوه".

فلسان الدين الخطيب يحث المسلمين على الجهاد، نصرة لدينهم، ودفاعا عن أوطانهم، وصونا لعزتهم، والخطبة بعيدة عن التكلف، نلمس فيها صدق العاطفة الدينية، ففيها الحماس الديني والغيرة على المقدسات معتمدا اسلوب الحض، إذ نراه يكثر من العبارات الانشائية كالنداء والامر والدعاء، ويضمن خطبته بآي من القران الكريم وأحاديث نبوية شريفة وأبيات من الشعر، لتكون أكثر تأثيرا في نفوس المسلمين، وأقوى دليلا وحجةً.